Scientific Events Gate
Innovations Journal of Humanities and Social Studies
مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية
IJHSS
https://eventsgate.org/ijhss
e-ISSN: 2976-3312

القراءات القرآنية وأهمية دراستها

د. أميمة بنت عبد الرحمن بن عبد القادر حلبي
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية- بالكلية الجامعية بالليث- جامعة أم القرى- السعودية
oahalabi@uqu.edu.sa

الملخص: القرآن الكريم له أهمية بالغة، وله عناية خاصة عند المسلمين، فهو كتاب محفوظ من رب العالمين، خالد إلى يوم الدين، فهو كتاب لكافة الثقلين. فقد اعتنى المسلمون بالقرآن الكريم عناية بالغة تلاوة وحفظاً وتعلماً وتعليماً ورسماً وتوجيهاً، فالقراءات القرآنية لها جانباً كبيراً في العناية والاهتمام، فقد تولى الله سبحانه بحفظه، ولا يزال يقرأ القرآن كما أنزل على محمد ﷺ، وسيبقى إلى يوم الدين بسند التلقي. فأردتُ أن أتناولَ جانبًا من أهمية علم القراءات، وإبراز أهميته في كلّ علمٍ يتّصل به، وقد ألّفت فيه المؤلّفات واحتجّ به العلماء والقرّاء والفقهاء، وممّا أيقظ في داخلي الهمّة لبيان أهميته، وإبراز الضوء في هذا الجانب فعنونته بـ: (القراءات القرآنية وأهمية دراستها). ويمكن تلخيص أهميته: بأنها تخفيف على الأمة الإسلامية والتيسير عليها لتنوُّع اللغات واللهجات عند المجتمعات، فقد ميَّز الله القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية بتعدد قراءاته. وأيضاً فيها إعجاز من رب العالمين لإظهار بلاغة القرآن وجمال الإيجاز فيه، ومن العلوم المتعلقة به علم عد الآي، وهي متعلقة بالوقف والابتداء. وإنَّ تتبّع ألفاظ القرآن وبيان معانيه بقراءاته المختلفة له الأجر الكبير من رب العالمين. والسؤال المحوري لموضوع البحث: ما مدى أهمية علم القراءات؟ أما عن أهداف هذا البحث فيمكن حصرها فيما يلي: تعريف القارئ بعلم القراءات، وإبراز أهمية علم القراءات ومكانتها، وإبراز أهميته في كل علم، وإظهار إعجاز الله بالقرآن وبيان بلاغته. واعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي الاستنباطي. ولمعالجة الموضوع قسمت بحثي إلى أربعة مباحث.

الكلمات المفتاحية: القراءات، القرآن، الأهمية، الإعجاز.

Qur'anic readings and the importance of studying them.

Dr. Omaima Bint Abdul rahman Bin Abdul qadir Halabi
Department of Da'wah and Islamic Culture, Al-Leith University College, Um Al-Qura University -Saudi Arabia
oahalabi@uqu.edu.sa

Received 17/11/2023 - Accepted 26/12/2023 Available online 15/01/2024

Abstract: The Holy Qur'an is of great importance, and it is given special attention among Muslims, as it is a book preserved by the Lord of the Worlds, eternal until the Day of Judgment, so it is a book for all people of great importance. Muslims have taken great care of the Holy Qur'an, reciting, memorizing, learning, teaching, drawing and guiding. Qur'anic recitations have

a great aspect of care and attention. God Almighty has taken care of preserving it, and is still reciting the Qur'an as it was revealed to Muhammad, peace and blessings of God be upon him, and it will remain until the Day of Judgment with the support of its reception. I wanted to address an aspect of the importance of the science of Qur'anic readings, and its importance is highlighted in every science related to it. I have written books on it and scholars, readers, and jurists have used it as evidence. What awakened within me the desire to explain its importance and shed light on this aspect, so I titled it: (Qur'anic readings and the importance of studying them). Its importance can be summarized: easing the burden on the Islamic nation and facilitating the diversity of languages and dialects in societies. God has distinguished the Holy Qur'an from other heavenly books by the multiplicity of its readings. It also contains a miracle from the Lord of the Worlds to demonstrate the eloquence of the Qur'an and the beauty of its brevity. Among the sciences related to it is the science of counting verses, and it is related to stopping and starting. Tracing the words of the Qur'an and explaining its meanings through its various readings will have a great reward from the Lord of the Worlds. The central question of the research topic: How important is the science of readings? As for the objectives of this research, they can be summarized as follows: introducing the reader to the science of recitations, highlighting the importance and status of the science of recitations, highlighting its connection to other sciences, and demonstrating God's miracle in the Qur'an and explaining its eloquence.

Keywords: Readings, The Qur'an, Importance, Miracle.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على سيّد ولد عدنان وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الله عزوجلّ شرّف الأمّة الإسلاميّة بالقرآن الكريم، المنزّل على نبيّنا محمد بن عبد الله ﷺ، المنقول إلينا بالتواتر إلى قيام الساعة، وتكفّل الله بحفظ اسمه ورسمه في الصدور والسطور، وقد ساهم الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة الرسول ﷺ في شرف حفظه ونالوا فضل جمعه وكتابته، ثم تنافس بعدهم علماء السّلفِ والخلف في خدمة ودراسة هذا الكتاب العزيز بقراءاته، وطرقه، ورواياته، ورسمه، ومعانيه.

وعند اطلاعي على المؤتمر العلمي الدولي الثالث: دور وأهمية العلوم الإسلامية في رقي الأمم والمجتمعات الإنسانية، أحببت أن أشارك وأن أتناولَ جانبًا فيه وهي أهمية علم القراءات، وإبراز أهميته في كلّ علمٍ يتّصل به، وقد ألّفت فيه المؤلّفات واحتجّ به العلماء والقرّاء والفقهاء، وممّا أيقظ في داخلي الهمّة لبيان أهميته، وإبراز الضوء في هذا الجانب فعنونته بـ: (القراءات القرآنية وأهمية دراستها).

نظام الدراسة: المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

مشكلة البحث: (أسئلة البحث): يجيب البحث –بإذن الله–عن الأسئلة التالية:

- ما هو القرآن الكريم؟ وما هو علم القراءات؟

- ما مدى تكفُّل الله بحفظ القرآن الكريم؟
- ما مدى إعجاز القرآن بعلم القراءات.
- ما مدى أهمية علم القراءات؟
- ما مدى تعلُّق القراءات بالعلوم الأخرى؟

فرضيات البحث

مما سبق في سياق مشكلة البحث نفترض جدلاً ما يلي:

إنَّ نزول القرآن بتعدد القراءات فيه تخفيف على الأمة الإسلامية والتيسير عليها.

إنَّ القرآن معجز إذا قُرئ بهذه القراءة مثلاً، ومعجز كذلك إذا قُرئ بقراءة ثانية وثالثة وهكذا، فالقرآن معجز بكل القراءات التي ورد فيها فتعددت معجزاته.

إن اختلاف الأحرف وكثرة القراءات القرآنية له جهد كبير في تتبُّعها وإفراغ الجهد للآيات لفهم المعاني واستنباط الأحكام؛ وبها تتعاظم أجور هذه الأمة.

علم القراءات يحتاج إليه المقرئ والمفسر والمحدث والفقيه واللغوي، وهم علم متداخل مع كثير من العلوم.

أهداف البحث

- تعريف القارئ بالقرآن وعلم القراءات.
- إبراز فضل القرآن وفضل القراءات.
- إبراز تعلَّقه بالعلوم الأخرى.
- إظهار إعجاز الله بالقرآن وبيان بلاغته.

أهمية البحث

- تعلقه المباشر بالقرآن الكريم، ونيلُ شرفِ خدمة كتاب الله تعالى.
- تخفيف على الأمة الإسلامية والتيسير عليها لتنوُّع اللغات واللهجات عند المجتمعات، فقد ميَّز الله القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية بتعدد قراءاته.
- إعجاز من رب العالمين لإظهار بلاغة القرآن وجمال الإيجاز فيه،
- تعلقه بالعلوم الأخرى كتعلقه بعلم عد الآي، وعلم الوقف والابتداء كذلك.
- إن تتبّع ألفاظ القرآن وبيان معانيه بقراءاته المختلفة له الأجر الكبير من رب العالمين

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمةٍ وتمهيدٍ، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر.

أما **المقدّمة:** فتضمّنت أدبيات البحث وأبجدياته من أهدافٍ وأهميةٍ ومشكلةٍ ومنهجيّة البحث والدراسات السابقة ومنهجي في البحث والخطّة الهيكليّة، ثمّ **تمهيدٌ:** التعريف بالقرآن والقراءات، وفضل القرآن، واهتمام الصحابة بالقرآن، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التخفيف والتيسير على الأمة الإسلامية.

المبحث الثاني: إعجاز من رب العالمين.

المبحث الثالث: تعلق كثير من العلوم بعلم القراءات.

المبحث الرابع: الأجر والثواب من ربِّ العالمين.

ثم الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وأسأل الله أن يرزقني الإخلاص والقبول، وأن يعود هذا البحث بالخير والنفع على الإسلام والمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي تناولت جانباً من أهمية القراءات:

- "أهمية القراءات القرآنية في المعاجم– تهذيب اللغة للأزهري– أنموذجاً–، للمؤلف: ابن عبد الله واسيني، في مجلة الدراسات القرآنية العدد 9، لعام 1432هـ، ذكر عدة مباحث منها: القراءات القرآنية في المعاجم، وأهمية القراءات القرآنية في المعاجم وموقف العلماء منها.
- "أهمية القراءات كمصدر للمفسر، وكيفية التعامل معها، للمؤلف: سهيل أحمد قشيري، في مجلة الزهراء، للعام 2009م، ذكر المؤلف أنواع القراءات، وبيَّن علاقة القراءات بالتفسير لتأثيره في اختلاف المعنى وزيادته، وبيّن أهمية إلمام المتصدي لتفسير القرآن بقواعد في القراءات.
- "علم القراءات القرآنية"، للمؤلف محمود عبد الله الرمحي، في مركز عبد الرحمن السديري، لعام 2014م، أكد المقال أن أهل العلم قد أجمعوا على أن القرآن الكريم نقل إلينا عن النبي (ﷺ) بروايات متعددة متواترة، ووضع العلماء لذلك علماً أسموه علم "القراءات القرآنية"، بينوا فيه المقصود من هذا العلم، وأقسام تلك القراءات وأنواعها، وأهم القراءات الذين رووا تلك القراءات، إضافة إلى أهم المؤلفات التي دونت في هذا المجال. وأوضح المقال أن علم القراءات علم يعرف كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطرق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله. وأشار المقال إلى أن علم القراءات القرآنية يفيد في: أولاً: العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، ثانياً: صيانة كلمات القرآن عن التحريف والتغيير، ثالثاً: العلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة، رابعاً التمييز بين ما يقرأ به، خامساً: التسهيل والتخفيف على الأمة، سادساً: استنباط الأحكام الفقهية نتيجة لاختلاف القراءات. وأختتم المقال بالتأكيد على أهمية هذا العلم.

منهجي في البحث

1. كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها وأرقامها في المتن بين معقوفتين.

2. توثيق النصوص والمسائل العلمية من مصادرها الأصيلة.

تمهيد: التعريف بالقرآن والقراءات، وتاريخ القرآن والقراءات، وفضل القرآن، واهتمام الصحابة بالقرآن.

القرآن في اللغة: قرأ قرْءاً وقرآناً، وهو مصدر قرأ بمعنى تلا، أو بمعنى جمع، لجمعه الأخبار والأحكام (Al-Nawawī, p. (1/263)) .

والقرآن شرعاً: هو كلام الله تعالى حقيقة، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل (عليه السلام) المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه المجموع بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس (Ibn ʻUthaymīn, 2001, p. 3).

القراءات لغة: جمع قراءة وهي بمعنى الجمع والضم، يقال قرأت الشيء أي جمعته ((Al-Nawawī, p. (1/263)).

واصطلاحاً: له تعريفات كثيرة سأذكر بتعريف ابن الجزري: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة (Ibn al-Jazarī, 1999, p. 9) .علم القراءات من جملة ما تكلم الله به، فهي متعلقة بكلام الله، فهي من العلوم التي يجب على الأمة الاهتمام بها، فقد اعتنى الصحابة والسلف ومن تبعهم بكتاب الله بجمعه في الصدور وفي السطور، وقد حثَّ النبي على تعلم القرآن والتعلم بقراءاته، فقد قال: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه)، (Al-Bukhārī, 1422 H, p. 4992)

تاريخ القرآن والقراءات، وفضل القرآن، واهتمام الصحابة بالقرآن:

إنَّ القرآن وَحْي ربانِيّ أوْحاه اللهُ عز وجل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل الأمين (عليه السلام)؛ فهو كتاب الله أحسن الحديث وخير الكلام وأصدقه، فهو أشرف العلوم الشرعية، لشدة تعلقه بأشرف كتاب سَمَاوِي مُنَزَّل، فقراءة القرآن من أفضل الأعمال، ومن أفضل القربات، وله الخير العظيم، والأجر الكبير، والفائدة الجليلة، فقد صدق الله بقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية 155)، ويقول النبي ﷺ: "اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي شافعاً لأصحابه" (Ibn Muslim, 1955, p. 804).

وعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ: " مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القرآن وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، ومَثَلُ الذي يَقْرَأُ وهو يَتَعاهَدُهُ، وهو عليه شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أجْرانِ" (Al-Bukhārī, 1422 H, p. 4937)، هذا فيه فضل عظيم، له أجران إذا قرأ القرآن وهو يتعتع فيه؛ لأنه ليس بحافظٍ له، فهو يجلس لقراءته ويتعلم.

فقد أظهر الله سر من أسراره فقد تكفَّل الله بحفظ القرآن الكريم، بأوفى بيان، وأوضح بلاغ، ولا يزال يقرأ القرآن كما أنزل على محمد ﷺ، وصيانته من الضياع والتبديل والتحريف، فقد قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (سورة الحجر الآية 9).

وفيه صدق النبي فإنه رغم أنه أمّيّاً إلا أنه لم يأت بحرف يناقض الآخر، أو يخالفه.

واهتم الصحابة والسلف بحفظ القرآن وجمعه وكتابته بجميع قراءات كما أنزله جبريل (عليه السلام) على النبي محمد بالسند المتصل، فلم يُخلِ عصراً من العصور، من إمام حجة قائم على نقل كتابه وإيصاله إلى عباده، مع إتقان حروفه ورواياته، وبيان وجوهه وقراءاته.

فقد بدأ الحفظ بكتبة الوحي، الذين وثقوا الآيات من فيه رسول الله ﷺ في الصحاف والرقاع، وحفظوا بهذا التوثيق المكتوب بالأحرف التي نزل بها القرآن الكريم، وبقي الأمر كذلك إلى أن وفق الله الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بنصيحة من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فجمع هذه الصحاف وحفظها في بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما).

ثم قام الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بنسخ ستة نسخ من هذا المصحف (على أصح الروايات) وأرسل بنسخة منه إلى مكة ونسخة إلى الشام ونسخة إلى البصرة ونسخة إلى الكوفة وأبقى نسخة منه في المدينة واحتفظ بنسخة منه لنفسه، وهذه المصاحف هي التي نقرأ بها اليوم.

فقد تعين الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مقرئا خاصا لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، وتوافق قراءته قراءة أهل المصر المرسل إليهم في الأكثر الأغلب، وقد كتبت المصاحف على وفق العرضة الأخيرة كما تقدم، والمشهور أن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار خمسة، وفي هذه المرحلة بدأ التمييز بين القراءات الصحيحة المعتبرة، والقراءات الآحادية والشاذة، وبدأت تنتشر الروايات الشاذة، وهذا التمييز أساسه التلقي وموافقة الرسم العثماني.

ثم أقبل جماعة من كل مصر على المصحف العثماني لتلقي القراءات وفق ما تلقاه الصحابة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يقتدى بهم في القراءة، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي القراءة منهم بالقبول، ولتصديهم للقراءة نسبت القراءة إليهم، ومنهم:

بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ).

بمكة: عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ).

بالكوفة: عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٩ هـ)، وحمزة الزيات (ت ١٥٦ هـ)، والكسائي (ت ١٨٩ هـ).

بالبصرة: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ).

بالشام: عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ).

وكانت هذه الفترة تمهيدا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.

فإنَّ تعلم علم القراءات يصون اللسان عن الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصون كتاب الله عن سريان التحريف إليه أو التبديل أو التغيير في صورة الرسم أو كتابة الخط أو نطق اللفظ، فقد اهتم العلماء بالتأليف في هذا العلم، وقد اعتنوا به؛ فحققوا مسائله وحرروا دقائقه وبينوا أصوله وفرشه وأبوا به، ولم يقتصروا على ذلك بل بحثوا في العلوم التي تتصل به وألفوا في كل ذلك مؤلفات كثيرة ما بين مطول ومختصر، ومنظوم ومنثور.

مؤلفات في علم القراءات:

إنَّ أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت ٢٢٥ هـ)، وقيل غير ذلك، ولكن الذي يبدو أن يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ) هو أول من ألف في علم القراءات، وهذه الكتب فقدت ولم تصل إلينا، ثم تتابع التأليف من بعده، وسأذكر بعض من الكتب التي اعتنى بها العلماء:

١ – كتاب السبعة في القراءات: ألفه ابن مجاهد التميمي ت ٣٢٤ هـ– ببغداد وجمع فيه أصول وفرش قراءات سبعة قراء اختارهم من بين قراء الأمصار ووضع لاختياره شروطا معينة منها الضبط والإتقان وطول العمر في ملازمة القراءة.

وقد اشتهر هذا الكتاب شهرة فائقة وتناقله طلبة العلم، وكان ابن مجاهد قصد التخفيف على طلبة القراءات وتقريب هذا العلم لهم فاقتصر على سبعة قراء واختار راويين عن كل قارئ. وقد عرف ابن مجاهد بعد ذلك ب «مسبّع السبعة».

2–التيسير في القراءات السبع: ألفه أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى ٤٤٤ هـ بدانية في الأندلس، وقد اشتهر هذا الكتاب في الأندلس والمغرب شهرة عظيمة وصار الطلبة يحفظونه ويروونه ويقرءون القرآن بمضمنه، ومما زاد في شهرة التيسير وسهل انتشاره بين الناس أن الشاطبي قد ضمنه في منظومته (حرز الأماني).

3– الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني): منظومة مكونة من ١١٧٣ بيتا نظمها الإمام أبو القاسم الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ بمصر، وقد ضمّن الشاطبي كتاب التيسير للداني في هذه المنظومة وأضاف إليه بعض الخلافات.

4– الإضاءة في بيان أصول القراءة: ألفه الشيخ علي محمد الضباع (ت 1380هـ)، وضمّنه أهم مصطلحات علم القراءات.

5– الإنباء في تجويد القرآن: لابن الطحان الأندلسي (ت بعد ٥٦٠ هـ)، شرح فيه عددا من مصطلحات القراءات والتجويد كالحركات ومقاديرها والسكون وأنواعه وأصول المد واللين ومقادير المد وموجباته وأحكام النون الساكنة والتنوين، والتفخيم والترقيق والفتح والإمالة والتقليل والوقف على أواخر الكلم.

6 – القواعد والإشارات في أصول القراءات: لابن أبي الرضا الحموي، وغيرها الكثير من المؤلفات.

وبعد التعريف بالقرآن والقراءات، وبيان فضلها سأقوم بإذن الله بإبراز الضوء في هذا الجانب أهمية علم القراءات، قسِّمتها إلى أربعة مباحث، وهي كالتالي:

المبحث الأول: التخفيف والتيسير على الأمة الإسلامية

إن القرآن الكريم أنزل على كافة الناس، على العربي والأعجمي، على الطفل والشيخ الكبير، على العالم والأميّ، وتختلف لغاتهم ولهجاتهم؛ فنزول القرآن بتعدد القراءات فيها تخفيف على الأمة الإسلامية والتيسير عليها كالإمالة والتسهيل والترقيق والتفخيم والإشمام ونحوه، فالله سبحانه وتعالى أنزل القرآن ميسراً؛ وهذا من سماحة الإسلام ويسره، فلا تكلِّف أحدا بما لا يطيق، فمن شق عليه قراءة حرف قرأ بالحرف الآخر، فلو حملت جميعًا على حروفٍ، أو قراءة واحدة – في بادئ الأمر – لصَعُب عليهم الامتثالُ، فقد روي عن أبيَّ بن كعب أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) كان عند أَضاةِ بني غِفارٍ فأتاه جبريلُ (عليه السلام) فقال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يأمرُك أن تُقرِئَ أمَّتَك القرآن على حرفٍ قال أسألُ اللهَ معافاتِه ومغفرتَه وإنَّ أمَّتي لا تُطيقُ ذلك ثمَّ أتاه الثَّانيةَ فقال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يأمرُك أن تُقرِئَ أمَّتَك القرآن على حرفَيْن قال أسألُ اللهَ معافاتِه ومغفرتَه وإنَّ أمَّتي لا تُطيقُ ذلك ثمَّ جاءه الثَّالثةَ فقال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يأمرُك أن تُقرِئَ أمَّتَك القرآن على ثلاثةِ أحرُفٍ فقال أسألُ اللهَ معافاتِه ومغفرتَه وإنَّ أمَّتي لا تُطيقُ ذلك ثمَّ جاءه الرَّابعةَ فقال إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يأمرُك أن تُقرِئَ أمَّتَك القرآن على سبعةِ أحرُفٍ قال فأيُّما حرفٍ قرءوا عليه فقد أصابوا" (Al–Nisāʾī, 1930, p. 939).

فإن تعدد وجوه القراءات تحافظ على لهجات القبائل الأخرى، فلغة القرآن أثر من آثار لهجات العرب، فقد تحدى العرب بلهجاتهم، فاللغة العربية إلا مجموعة لهجات، وما القرآن إلا مزيج منها، لكن لا يجوز الأخذ ولا القراءة بلهجة أو بِلُغَة إلا بِأَثَرٍ ورواية مُسْنَدَة، فقد قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) إبراهيم/4.

فتعدد اللهجات في اللفظ القرآني أكبر دليل على العلاقة الوطيدة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية.

المبحث الثاني: إعجاز من رب العالمين

وأيضاً فيها إعجاز من رب العالمين لإظهار بلاغة القرآن وجمال الإيجاز فيه، فقد ميَّز الله القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية وشرَّفها على الأمم السابقة بتعدد قراءاته، فإنَّ القرآن معجز إذا قُرئ بهذه القراءة مثلاً، ومعجز كذلك إذا قُرئ بقراءة ثانية وثالثة وهكذا، فتعددت معجزاته بتعدد قراءاته.

ومن الإعجاز في القراءات: تكثير المعنى، مثلاً في قوله تعالى: (فأزلَّهما) بسورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (سورة البقرة الآية 36)؛ قرأ حمزة بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأ الباقون: (فأزلَّهما) بالحذف والتشديد، وأفادتْ قراءة: حمزة أن الشيطان تسبَّب في إبعادهما عن الجنة، وتنحيتهما عنها، وأفادت قراءة الباقون أن الشيطان تسبَّب في إيقاعهما في الزَّلَّة، وهي الخطيئة مِن خلال الأكل من الشجرة المنهي عنها.

بالجمع بين القراءتين: يَتَبَيَّن أن الشيطان أوقعهما في الزلة مِن خلال الوسوَسةِ لهما بالأكل من الشجرة المحرَّمة، فكانت النتيجةُ أن أخرجهما من الجنة، قال القرطبي: "والوسوسة هي إنما إدخالهما في الزلَل بالمعصية، وليس للشيطان قدرةٌ على زوال أحد مِن مكانٍ إلى مكان، إنما قدرته على إدخاله في الزَّلَل، فيكون ذلك سببًا إلى زواله مِن مكان إلى مكان بذنبه (Makkī, 1981, p. (1/289)).

وأيضاً من الإعجاز الثراء اللغوي، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (سورة النساء الآية 1)؛ قرأ حمزة كلمة: (والأرحام) بالخفض، والباقون بالرفع، وفي قراءته حجةٌ على جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور مِن غير إعادة العامل، وهي لغة صحيحةٌ من لغات العرب (Ṣāliḥ).

وأخيراً رغم تعدد قراءات القرآن الكريم وكثرة وجوه القراءة، لم يستطع أحد من أعداء الأمة في التربص في آيات الله ولم يظهر أي تناقض أو تضاد في القرآن، فهذا يدل على إعجاز من رب العالمين.

المبحث الثالث: تعلق كثير من العلوم بعلم القراءات

تتعلق علم القراءات بكثير من العلوم الأخرى فمثلاً لا يتم علم اللغة العربية إلا بتعلم علم القراءات، ومن العلوم المتعلقة به علم عد الآية، وهي متعلقة بالوقف والابتداء كذلك وبها يتم فهم القرآن الكريم، فقد ثبت عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): الترتيل معرفة الوقوف، وتحقيق الحروف (Abū al-Qāsim al-Hudhalī, 2008, p. 377)، وأيضاً من العلوم التي تتعلق بها اللغة العربية، ولا يتم علم اللغة العربية إلا بتعلم القراءات، فنرى سيبويه وهو من كبار علماء النحو استشهد في كتابه بكثير من القراءات القرآنية.

ومن العلوم المتعلقة علم التفسير، إذ لا يزال العلماء يستنبطون من كل قارئ معنى لا يوجد في القراءة الأخرى، فقد ترد في القراءتين المختلفتان تفسيران في الآية الواحدة مثلاً في قوله تعالى:

﴿يخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية 9)، قرأ الكوفيون وابن عامر من غير ألف وقرأ الباقون بالألف، وحجة من قرأ بالألف أم أهل اللغة حكوا: خادع وخدَع بمعنى واحد، والمفاعلة قد تكون من واحد، والمعنى: أن مخادعتهم إنما كانت للنبي ﷺ والمؤمنين، ولم يكن من النبي والمؤمنين لهم مخادعة، ومن قرأ بالألف أجرى الثاني على لفظ الأول، إذ لا يخدعون أنفسهم إنما يخادعونها ((Makkī, 1981, p. (1/225) .

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (سورة الحجر الآية 15).

قرأ ابن كثير سكرت بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف ويحتمل أن يكون مشتقاً من السكر، فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السكر وهو السد، فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر (Ibn Juzayy, 1416 H, pp. 2/144–145). فورود هاتين القراءتين في الآية الكريمة أفاد تعدداً في المعنى، فلفظ "سكر" بالتشديد يعطي معنى السد والحبس، وبالتخفيف يعطي معنى التغطية والغشاوة (Al–Jawharī A. N., 1987, p. (2/687)).

ومن العلوم المتعلقة به العلم بالأحكام الشرعية مثلا في قوله تعالى: ﴿وَتَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (سورة النساء الآية 43).

قرأ جميع القراء ما عدا حمزة والكسائي وخلف "لامستم" بإثبات الألف، وهي مقصورة على معنى واحد، وهو الجماع، سواء كان من باب المشاركة، أم الفاعل الواحد وهي من الكناية البليغة، وقرأ الكوفيون إلا عاصم بالقصر "لمستم" وهي صريحة في اللمس باليد خاصة (Al–Nawawī, p. (3/205)

فعلى القراءة الأولى تدل على الجماع، وعلى الثانية تدل على اللمس باليد، ولمّا قامت القرائن على إرادة المعنى الكنائي وهو الجماع انصرفت إليه.

وقد تؤخذ القراءتان على الوجهين، وعليه يفصّل في الحكم، فيكون الوضوء على من مس باليد، والغسل على من لامس بالمعنى الكنائي وهو الوطء, وتكون القراءتان بمنزلة آيتين مستقلتين, ولاسيما إذا كان الاختلاف من جهة المادة، أو من جهة الهيئة التي تفيد تغير المعنى, «إذ لا يكون لفظ واحد حقيقة مجازاً, ولا كناية صريحاً, في حال واحدة، ونكون مع ذلك قد استعملنا حكم القراءتين على فائدتين دون الاقتصار بهما على فائدة واحدة»(alqurtubi, p (2/467)

ومن أفاد من القراءتين معنى الوطء بالدلالة الصريحة أو الكنائية فيرتب عليه وجوب الغسل، «فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب، لاتفاق معنييهما» (tabari, p(5/151–152)), واختلف الفقهاء في ذلك تبعاً لهاتين القراءتين في الحكم, إلا أن الترجيح بجانب المعنى الكنائي إذ أن «المراد بالمس الجماع إلا أن الله تعالى حَيِيٌّ يكنى بالحسن عن القبيح كما كنى بالمس عن الجماع وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ (سورة البقرة الآية 237).

وعلى كلٍّ فالاختلاف في القراءات كان من دواعي تنوع الفهم الذي أسهم في اختلاف التفسير، وشواهدها كثيرة لمن تتبع كتب التفسير، وذلك مثل سفيان الثوري في كتابه، وابن قتيبة في كتاب غريب تفسير القرآن، وغيرهم.

فعلم القراءات يحتاج إليه المقرئ والمفسر والمحدث والفقيه واللغوي، وهم علم متداخل مع كثير من العلوم.

المبحث الرابع: الأجر والثواب من ربّ العالمين

إنَّ تتبّع ألفاظ القرآن وبيان معانيه بقراءاته المختلفة له الأجر الكبير من رب العالمين، فقد ثبت عن النبي ﷺ بقوله: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح (Al–Tirmidhī, 1996, p. (29/10)).

وإن اختلاف الأحرف وكثرة القراءات القرآنية له جهد كبير في تتبُّعها وإفراغ الجهد للآيات لفهم المعاني واستنباط الأحكام؛ وبها تتعاظم أجور هذه الأمة فالأجر على قدر المشقة، فقد قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ (سورة آل عمران الآية 195).

ووصف النبي بخيرية من تعلم القرآن وعلمه فقد قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (Al-Bukhārī, 1422 H, p. 5027).

الخاتمة والنتائج

الحمد لله وحده والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وبعد: فهذا ما يسَّره الله بفضله من بحث: القراءات القرآنية وأهمية دراستها، وفيما يلي أبرز النتائج المستخلصة منه:

- إن القراءات مُنَزَّلَة من عند الله عز وجل ومصدرها وَحْي رَبَّانِي، لا يجوز أخذها بالقياس أو الاجتهاد في ألفاظ القرآن الكريم، وهي وإن كانت تشتمل على اللغات واللهجات لكن لا يجوز الأخذ ولا القراءة بلهجة أو بِلُغَة إلا بِأَثَرٍ ورواية مُسْنَدَة.
- تعضيد القراءات بالعلوم الأخرى فمثلا التفسير لا يستغني عنها أحد من المفسرين، وأيضا بالأحكام الشرعية تغاير القراءتين الذي ترتب عليه تعدد في الفهم وابتنى عليه خلاف في الحكم الشرعي.
- إن في اختلاف القراءات مِن دَقيق الإشارات وكمين الأسرار، ولطيف الحِكَم ما يَكِلُّ عَنه الوصف، ويقف دونه البيان، فما مِن قراءة إلا وهي تدل على نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وسهولة الحفظ، وتيسير الفهم.
- تعدد القراءات والوجوه مِن بدائِع القرآن، فقد انعدمت في الصُّحُف السَّماوِيَّة الأُخْرَى هذا الفن ونحوه مِن فَن القراءة مما كان له دور عظيم في تحريفها وتغييرها عما كانت عليه مِن قَبْل.
- تعدد وجوه القراءات تحافظ على لهجات القبائل الأخرى.
- العِصْمَة مِن الخَطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها مِن التحريف والتغيير، بما يقرأ به كلٌ مِن أئمة القراءة، والتمييز بين ما يُقْرأ وما لا يقرأ به لأنه نقل إلينا بالسند المتصل من النبي ﷺ متواتراً.
- علم القراءات يهدف إلى تعليم اللسان النطق بكلام الله على الطريقة الصحيحة.
- تعلم علم القراءات يصون اللسان عن الخطأ، وصون كتاب الله عن سريان التحريف إليه أو التبديل أو التغيير في صورة الرسم أو كتابة الخط أو نطق اللفظ.

References

The Quran.

Abū al-Qāsim al-Hudhalī, Y. i. (2008). *Al-Waqf wa-al-ibtidā', taḥqīq : 'Ammār Amīn al-Dadaw.* Jāmi'at al-Imārāt: Majallat al-sharī'ah wa-al-qānūn.

Al-Bukhārī, M. i.-B. (1422 H). *Kitāb faḍā'il al-Qur'ān, Bāb anzala al-Qur'ān 'alá sab'at aḥruf, Bāb khyrkm min ta'allum al-Qur'ān wa-'ilmihi, taḥqīq : Jamā'at min al-'ulamā'.* Bayrūt: Dār Ṭawq al-najāh, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Al-Jawharī, A. N. (1987). *al-Ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah, taḥqīq : Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār.* Bayrūt: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, al-Ṭab'ah : al-rābi'ah.

Al-Jawharī, M. (2007). *al-Madkhal ilá 'ilm al-ijtimā'.* Jāmi'at al-Qāhirah.

Al-Nawawī, A. Z.-D. (n.d.). *Tahdhīb al-asmā' wa-al-lughāt.* Bayrūt.: Dār al-Fikr.

Al-Nisā'ī, A. '.-R. (1930). *Sunan al-nisā'ī.* al-Qāhirah: al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Al-Tirmidhī, A. '.-T. (1996). *Bāb mā jā'a fīman qara'a ḥrfan min al-Qur'ān, taḥqīq : Bashshār 'Awwād Ma'rūf.* Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Ibn al-Jazarī, S. a.-D.-K. (1999). *Munajjid al-muqri'īn wa-murshid al-ṭālibīn.* Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Ibn Juzayy, A. a.-Q. (1416 H). *al-Tas'hīl li-'Ulūm al-tanzīl, taḥqīq : al-Duktūr 'Abd Allāh al-Khālidī.* Bayrūt: Sharikat Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Ibn Muslim, A. a.-Ḥ.-Ḥ. (1955). *Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī.* al-Qāhirah: Maṭba'at 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Sharikā'uh.

Ibn 'Uthaymīn, M. i. (2001). *Uṣūl al-tafsīr.* al-Maktabah al-Islāmīyah, al-Ṭab'ah : al-ūlá.

Makkī, A. M.-Q. (1981). *al-Kashf 'an 'llal wa-wujūh al-qirā'āt, taḥqīq : D. mḥbb aldbn Ramaḍān.* Bayrūt: Mu'assasat al-Risālah, al-Ṭab'ah : al-thāniyah.

Ṣāliḥ, '. a.-K. (n.d.). *Tārīkh 'ilm al-qirā'āt, ustādh al-tafsīr bi-Jāmi'at al-Azhar, wa-wakīl Kulīyat al-Qur'ān al-Karīm.*